طلقة (٤)

(مع السادات وأحمد إسماعيل)

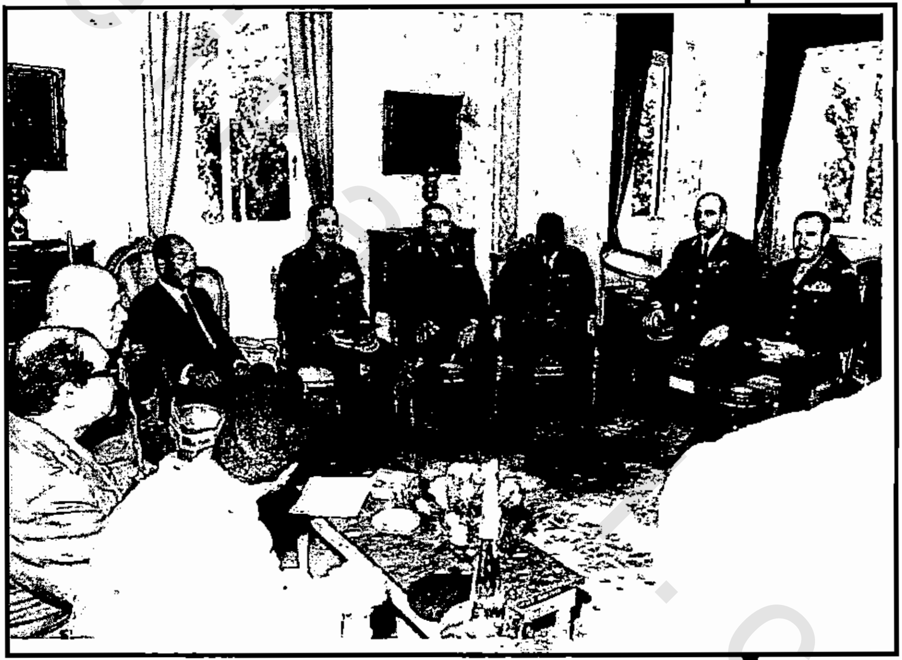

مع أحمد عبد العزيز إلى القدس

obeikandi.com

ساعات طويلة قضاها الملازم سعد الشاذلي يستعرض ما يحدث في فلسطين وينتظر ردا للطلب الذي تقدم به إلى قائد الحرس الملكي لكي يسمح له بالتطوع ضمن قوات الجيش التي قررت الذهاب إلى فلسطين لتحريرها لم يكن يتصور أن تدور الحرب لتحرير الأقصى السليب من أيدي العصابات الصهيونية وهو هنا يعيش حياة الضابط المرفه المستريح في البلاط الملكي، وتصل اليه أنباء القائد الضابط أحمد عبدالعزيز الذي كان يقوم بتدريس مادة التاريخ العسكري لطلاب الحربية وكانوا يتلهفون على محاضراته، حيث يقدم لهم وجبة دسمة من المعلومات الشيقة وخلاصاتها المفيدة وهم ينصتون اليها بكل انبهار وكانت له لمحات في خلال حديثه تؤجج العزيمة وتحفزهم على التضحية والفداء وهو صاحب الفضل في تكوين ما سمى بالقوة الخفيفة التي فتحت باب التطوع للحرب في فلسطين قبل الإعلان الرسمي لمصر وقد استشهد في تلك الحرب بطريقة درامية، حيث أصابته رصاصة طائشة من أحد الجنود.

لم يكن البكباشي أحمد عبدالعزيز هو القائد البطل فقط، بل المعلم القدوة الذي اتفقت عليه الأجيال العديدة من الضباط وسبحان الله لو أمد في عمر البطل عبدالعزيز لتغيرت خريطة فلسطين كلها، لكنها ارادة الله.

ساعات قليلة وأطلق البروجي نوبة جمع للضباط في قصر عابدين، من المؤكد أن هناك ما يستدعي الإعلان عنه.

اصطفوا كالمعتاد كأنهم البنيان المرصوص، وجاء العقيد حلمي عبدالرحمن قائد الحرس الملكي وأدى الجميع له التحية وكانت نظراته تتفحص ضباطه حتى استقرت عينه عند سعد الشاذلي وكان ما سيقوله يخصه دون غيره، وقال حلمي:

- لقد وافق مولانا الملك فاروق جلاله ملك مصر على فتح باب التطوع للجيش المصري لحرب فلسطين.

وهكذا تحقق للشاذلي ما تمناه لنفسه ولغيره، رغم أن المشاركة الملكية بفريق جرت كنوع من الاستعراض ليس الا، وكان الشاذلي في طليعة من سجلوا أنفسهم في كشف التطوع.

وخرجت الفرقة المسافرة إلى فلسطين بعتادها في طابور استعراضي تتقدمه الموسيقى العسكرية من قصر عابدين مخترقا وسط العاصمة نحو محطة مصر للسكك الحديدية، حيث يركبون القطار الذي يأخذهم من القاهرة إلى غزة وقد كان القطاع تابعا لمصر ويربطه هذا الخط الحديدي الذي يمر بالعريش.

ويحكي الشاذلي عن تلك الحرب فيقول: لم تكن رتبتي العسكرية تسمح لي بالإلمام بالموقف العام وقد كشفت لنا هذه الحرب ضعف التعليم العسكري وتدهور عمليات القتال فقد كانت دراستنا في الكلية الحربية التي استمرت حوالي ١٨ شهرا فقط، هي دراسة نظرية على الورق، عرفنا القنبلة اليدوية على السبورة في فصول الدراسة، وعندما وجدنا أنفسنا في ميدان القتال كانت المأساة، اكتشفنا أن الأسلحة تم شراءها من السوق السوداء وأغلبها معطوبة وغير صالحة، كما أن أغلبها قديمة ولان الجندي غير مدرب عليها كانت النتائج أحيانا تأتي عكسية، فالقنبلة التي تنفجر بعد ٧ ثوان وجدوا أن النوع المستخدم ينفجر بعد ٤ ثواني وهو ما عرف بالأسلحة الفاسدة، وهي كانت موجودة بالفعل لكنها قليلة، والمعروف أن السوق السوداء كانت تبيع مخلفات السلاح بغير ضمان.

وأضاف الشاذلي: الأهم من ذلك افتقاد التدريب الجيد، بينما جيوش الصهاينة قد خاضت الحرب العالمية الثانية واستفادت منها في الجوانب العسكرية كلها.. كانت القوات العربية قد حشدت ٤٠ ألف جندي بينما إسرائيل كان جيشها يزيد على ١٠٠ ألف وكنا نمتلك الطيران وهنا خرج الطيران البريطاني لكي يتصدى له وأسقط خمس طائرات مصرية وكانت بريطانيا هي الضامن الأساسي لعدم انتصار العرب وهو الدور الذي لعبته أميركا فيما بعد... دخلنا الحرب وعندنا قناعة تامة

من قادة جيوشنا أن اليهود ما هم الا عصابات وبمجرد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين سوف نقضي عليهم في ساعات قليلة ثم اتضح عكس ذلك تماما فهم مدربون تدريبا عاليا ولديهم أسلحة متفوقة وعمل ونظام فكان يتم تصفيح اللوري بحيث لا تستطيع تدميره وكنا نطلق عليه رصاصا فلا يخترقه.

ومع ذلك يكشف الشاذلي مفاجأة مدوية عندما يقول أن ما جرى في حرب فلسطين ما هو بهزيمة لنا أو انتصار للعدو، ولولا الجيوش العربية لما بقي كثير من الأراضي الفلسطينية بعيدا عن أيدي الصهاينة وهي الأراضي التي جرى احتلالها بعد ذلك في يونيو ١٩٦٧.

ونعود إلى أنور السادات الذي يؤكد أن الحكومة المصرية طلبت من ضباطها وجنودها السفر إلى فلسطين عام ١٩٤٨ بالبنادق فقط واعتبروا ذلك انتحارا ورفضوه وبعضهم تراجع عن السفر مثل عبدالمنعم عبدالرؤوف الذى حل محله اليوزباشي خالد فوزي وكان لذلك الأثر السيئ في نفوس الغالبية وكان اليوزباشي أنور الصيحي قد تقدم متحمسا ليحل محل عبدالرؤوف وفي أول معركة استشهد.

وقد جاء الشيخ حسن البنا ومعه الشيخ فرغلي وقد حضرا إلى محطة مصر لوداع الضباط والجنود ويذكر أن بعض الإخوة الليبيين كانوا بين المتطوعين وقد حضر معهم عبدالرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية، وتغلب الحماس على اليأس.

واكتشف بعض الضباط أن الأسلحة التي تم رصدها في كشوف العهدة ليست كاملة، ومع ذلك قام رجال الصيانة في العريش بفحص العربات المسافرة والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشيء ومع ذلك عكفوا على اصلاحها وتأهيلها لكي تصلح إلى حد ما للميدان، وكانت الروح العالية تتجاوز كل هذه المعوقات وسافر المتطوعون مشيا على قضبان السكة الحديد إلى رفح ومنها إلى خان يونس وهناك وجدوا الضابط

obeikandl.com

عبدالمنعم عبدالرؤوف الذي قيل سابقا انه اعتذر قد سبقهم إلى الميدان.

لكن في أرض المعركة وضح تماما أنها تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل في تاريخ المعارك الناجحة أو الفاشلة في العالم بأسره، فالجيش يحارب في فلسطين لكن قيادته في القاهرة بعيدا عن أصول وقواعد العسكرية.

واتضح تماما أن الانكليز قد دبروا تدبيرهم لخيانة الجيش رغم أنهم وعدوا حكومة النقراشي بمساعدة الجيش بالسلاح والعتاد والذخائر ولكنهم لم يفعلوا عمدا.

وفي وسط هذا المناخ الضبابي والاحباط وقلة الامكانات جاءت الأوامر من القاهرة إلى غزة بإعداد استراحة لجلالة الملك فاروق تسمى ركن فاروق.

وهناك في أرض فلسطين أدرك الضباط أن قيادة البلاد يجب أن تتغير فهي أبدا لم تكن على مستوى الحدث كانت تلك هي شرارة ثورة ٢٣ يوليو التي أشعلتها وعجلت بها.

وهنا يرى المؤرخ العسكري جمال حماد أن الجيوش العربية رغم كل ذلك اقتربت من تل أبيب لكن تحت سطوة الاستعمار خضعت الحكومات العربية للضغط وتم قبول الهدنة في ١١ يونيو ثم الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨ وتحت ستار تلك الهدنة تدفقت الأسلحة والمعدات على إسرائيل في الوقت الذي تم فيه حرمان العرب منها وهنا خرقت إسرائيل الهدنة وفاجأت القوات العربية بالهجوم واحتلت القسم الأكبر من الأراضي الفلسطينية وبما يتجاوز ما حصلت عليه بقرار التقسيم الذي صدر في عام ١٩٤٧.

والخلاصة المؤلمة المحزنة للضابط الشاب الذي خاض معركتين في دير زنين وميت سليم أن الحروب هي علم وخبرات وتدريب وليست فقط مجرد حماس والدرس الأهم عدم التقليل من شأن العدو وكان هناك ما هو أهم من ذلك!!

خارج السياق :

هذه مذكرات عسكرية: سجلي كرئيس أركان القوات المسلحة المصرية أثناء الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣، وعلى حد علمي، تعتبر هذه المذكرات فريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة من نوعها لقائد عربي معاصر، كتبت هذه المذكرات مكرها وآسفا وغاضبا، وعندما أقول أن غضبي موجه بصفة رئيسية ضد الرئيس المصري أنور السادات يمكنكم فهم لماذا، بعد أن قضيت عمري كله كجندي في خدمة بلادي.

هكذا يحكي الشاذلي في بداية مذكراته ويقول :

أهدي هذه المذكرات إلى جنود وضباط القوات المسلحة المصرية البواسل، فهذه قصتهم، فهي تروي أخيرا الحقيقة عن انتصارهم العظيم، إنني فخور بكل يوم أمضيته كرئيس للأركان، أنني فخور لأنه أثناء وجودي بهذا المنصب تم التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربي ناجح ضد إسرائيل، أهدي تحياتي لكل ضابط وكل جندي اشترك في هذه الحرب وأعاد بذلك العزة للجندي المصري، وهناك شهود على صحة ما كتبته، فبعض أجزاء من القصة معروفة لآلاف الأفراد، وبعضها معروفة لمئات من الأفراد، وأجزاء أخرى لا يعلمها الا أفراد يعدون على الأصابع.

أرجو من الله تعالى أن يعيننا ويهدينا ويهبنا الشجاعة لقول الحق أيا كانت العواقب.

خطة المآذن العالية :

يقول الشاذلي عن الخطة التي وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التي سماها المآذن العالية: أن ضعف الدفاع يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن من قال اننا نريد أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ففي

obeikandl.com

استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف ونحتل من ١٠ إلى ١٢ كيلومترا شرق القناة.

وكانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين: المقتل الأول : هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرا لقلة عدد أفرادها. المقتل الثاني: هو اطالة مدة الحرب، فهي في كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة ١٨ في المئة من الشعب الإسرائيلي وهذه نسبة عالية جدا.

الخطة كان لها بعدان آخران على صعيد حرمان إسرائيل من أهم مزاياها القتالية يقول عنهما الشاذلي: عندما أعبر القناة وأحتل مسافة بعمق ١٠: ١٢كم شرق القناة بطول الجبهة (حوالي ١٧٠كم) سأحرم العدو من أهم ميزتين له؛ فالميزة الأولى تكمن في حرمانه من الهجوم من الأجناب؛ لان أجناب الجيش المصري ستكون مرتكزة على البحر المتوسط في الشمال، وعلى خليج السويس في الجنوب، ولن يستطيع الهجوم من المؤخرة التي ستكون قناة السويس، فسيضطر إلى الهجوم بالمواجهة وعندها سيدفع الثمن فادحا.

وعن الميزة الثانية قال الشاذلي: يتمتع العدو بميزة مهمة في المعارك التصادمية، وهي الدعم الجوي السريع للعناصر المدرعة التابعة له، حيث تتيح العقيدة القتالية الغربية التي تعمل إسرائيل بمقتضاها للمستويات الصغرى من القادة بالاستعانة بالدعم الجوي، وهو ما سيفقده لأني سأكون في حماية الدفاع الجوي المصري، ومن هنا تتم عملية تحييد الطيران الإسرائيلي من المعركة.

حرب أكتوبر:

في يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ في الساعة ١٣:٠٠ شن الجيشان المصري والسوري

هجوما كاسحا على إسرائيل، بطول الجبهتين، ونفذ الجيش المصري خطة المآذن العالية التي وضعها الفريق الشاذلي بنجاح غير متوقع، لدرجة أن الشاذلي يقول في كتابه حرب أكتوبر: في أول ٢٤ ساعة قتال لم يصدر من القيادة العامة أي أمر لأي وحدة فرعية.. قواتنا كانت تؤدي مهامها بمنتهى الكفاءة والسهولة واليسر كأنها تؤدي طابور تدريب تكتيكي.

Obeikandl.com